معنى التوكل فى الإســـلام

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى

" أخطأ جمهور العامة من المسلمين فهم التوكل على الله فى تطلبه تعاليم الإسلام ، وحسبوا أن التوكل يغنى عن العمل والسعى فى انتظار ما يأتى به القدر . وتطلع الغربيون إلى المسلمين فرأوه عن ركب الحياة ، فاتهموا الإسلام بتهمة البعض من أهله ، الإسلام ما بهذا البعض من تأخر وجمود . وقد تفضل حضة الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فأوضح هـذه ا الكلمة الفاصلة " .

" المحر

تقوم الأديان كلها على أساس الاعتراف بفائدة الهدى والإرشاد ، وإمكان تبد الانسان من سوء إلى حسن ومن ضلال إلى هدى ، ويقوم الجزاء فى الآخرة من وشقاء دائم على التسليم بمبدأ الاختيار وأن الإنسان ليس كالريشة المعلقة فى مهب الـ "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" "فمن يعمل من الصالـ مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون" ولولا هـذان المبدءان لما كانت فائدة وإرسال الرسل ، ولما كان هناك معنى للجزاء .

وكذلك الأمم التى لا تعترف بالأديان تعترف بفائدة المعلم المرشد ، وفائدة القوانين و فى إصلاح الأمم ، وفائدة الزجر والتأديب من قصاص وجلد وسجن وما أشبه ذلك مما تو

وقد أمر الله سبحانه بالسعى فى طلب الرزق وقال " فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور "وفى الحديث الشريف " لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا " أى تخرج فى الغداة جائعة البطون ثم تعود مليئة البطون مما رزقها الله . فهذا الحديث فيه حث على السعى وحث على التوكل وهما مطلوبان فى وقت واحد . فلم ترزق الطير وهى نائمة فى أوكارها ، وانما رزقت بعد السعى والكد ، وكذلك الانسان يجب عليه أن يسعى ويكد كما تسعى الطير وتكد ، وفى الوقت نفسه يعتمد على الله سبحانه ويتوكل عليه ليوفقه إلى أحسن الطرق وليدفع عنه العوادى ، ويزيل من طريقه العوائق . فليس كل طريق للرزق مأمون العاقبة ، وليس كل طريق خاليا من الموانع . وقد يعترض المرض فيحول دون الرزق ، وقد يعترض عدو فيغتصب الرزق ، وقد يشغله شاغل من أى نوع كان يفوت عليه الرزق . وهذه أمور خارجة عن الطوق وعن مقدور الانسان ، فهو يتوكله على الله سبحانه يعتمد عليه فى تيسير الطريق وتسهيل الأسباب ورفع الموانع . فهناك أمران : أمر من قبل الإنسان لا بد منه وهو السعى ، وأمر من قبل الله سبحانه وهو دفع ما ليس فى الطاقة وما هو خارج عن القدرة . ذلك هو الذى يتوجه العبد فيه إلى الله بصدق النية وإخلاص الطوية ولنضرب لذلك مثلا :

زارع أحسن فلاحة الأرض واختيار البذر واختيار الوقت وأتقن الرى ، هذا هو عمله المطلوب منه ، لكن هناك آفات سماوية ليس فى قدرته دفعها ، فاذا توكل على الله سبحانه عند الزراعة فلا يجوز له أن يتوكل فى فلاحة الأرض وريها ، لأن هذا عمله المطلوب منه . لكنه يتوكل على الله ليدفع عنه شر الديدان وشر الرياح وشر السيل وشر اللصوص .

وقد روى أن عمر رضى الله عنه قال : " ألا إن السماء لا تمطركم ذهبا ولا فضة " . لكنه السعى فى طلب الرزق على المؤمن أن يجد فيه لأنه السبب والسنة التى سنها الله لخلقه فى هذه

التوكل بالثاب بعد أن يتحقق العبد أن التقدير من الله و إن تعسر شيء فبتقديره و إن فبتيسيره " . وعن أنس بن مالك : " جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم على ناق يارسول الله أدعها وأتوكل ؟ فقال : اعقلها وتوكل " . وقال سهل بن عبد الله : حال النبي والكسب سنة فمن بقي على حاله فلا يتركن سنته " . وقال ابن عطاء : التوكل ألا يظهر فيك انزعاج الى الأسباب مع شدة فاقتك إليها وألا تزول عن حقيقة الى الحق مع وقوفك عليها " .

أما ما روى عن بعض النساك من الخروج على الوسائل فلا يصح الاقتداء به ، لا خرجوا عن مقام التحقق بالشريعة الى مقام آخر هو الفناء فى الله سبحانه حتى ك لايحس بالنار تحرق يده فى كير الحداد ، فهؤلاء خارجون عن التكاليف وعن الأخذ با وقد أمر الله سبحانه بالاحسان فى العمل . والعمل الذى يطلب فيه الإحسان يتنا الأعمال من زراعة وتجارة وصناعة ، ومن خدمة الدولة وخدمة الهيئات والجماعات الأفراد . والاحسان فى العمل تدفع اليه الطبيعة ويحقق حكمة الله سبحانه من ا الإنسان فى الأرض للعمارة . وهو عبادة ما لم يشب بسوء النية و إيقاع الضرر بعباد دلت الأخبار على أن سعى المرء لنفسه وزوجته وأولاده عبادة ، وأن ما يصيبه الطير من نتاج الزراعة يكتب للزارع فى صحيفة عمله . فالمرء يثاب على عمله عند حسن النيـ الى الله ، وعلى ثمرات عمله و إن وصلت الى غير من يقصده . ولو كانت الأديان التوكل وحده ولا تطلب السعى لما صح أن يكلف المسلم بالجهاد بالمال والنفس ، ا الجهاد أفضل العبادات .

أيها الناس : إن الاسلام دين جد وصدق ، ودين كفاح وجلاد قام على العزة و الربوبية ، وقام على الاعتراف بالكتب السماوية وعلى محاسن الأخلاق ، ولا بد للمر مؤمنا أن يؤدى لله واجبه وللعباد واجبهم و يؤدى للأرض حقها . فقد اختار الله